228

الأبحاث والدراسات

مؤرخ تهامة والسراة (*)

أ. أحمد بن علي مطوان

(*) دراسة منشورة في كتاب: مواكب الأقلام : قراءات وتعليقات في التاريخ الإسلامي بمكتبة الدكتور غيثان بن علي بن جريس العلمية ، لمحمد بن مُعبِّر ، (الطبعة الأولى)(الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م). ص ص ٤٧٩ – ٤٩١ .

الملحق الأول

مؤرّخ تهامة والسَّراة

بقلم

أحمد بن علي مطوان

(تعريف بكاتب هذا الملحق)

الأستاذ : أحمد بن علي مطوان .

ولد سنة ١٣٩٣هـ في مدينة الدمام .

مؤهلاته العلمية :

١- بكالوريوس التربية في العلوم (أحياء) بكلية التربية في جامعة الملك سعود بالرياض ، سنة١٤٢١هـ .

٢- ماجستير (أحياء) بجامعة الملك سعود بالرياض سنة ١٤٢٩هـ .

حياته العلمية :

١- مُعَلّم .

٢- مشرف تدريب بإدارة التعليم بسراة عبيدة (١٤٢٣-١٤٢٦هـ) .

٣- مدير تقنية المعلومات بإدارة التعليم بسراة عبيدة (١٤٣٢هـ-حتى الآن).

مؤلفاته :

١- جُرَش (دراسة في المكان والسكان) ط١ :١٤٣١هـ ، أبها ، ١٧٥ص .

٢- قحطان من ذهبان إلى ظهران (قراءة في الأنساب والمواقع القديمة) ط١ :١٤٣٢هـ ، ٤٣٤ص .

٣- رسوم ورجوم من جبل الحاجب (منطقة عسير) ط١ : ١٤٣٢هـ ، ٨١ص .

حين اطّلعت على كتاب (مؤرخ تهامة والسراة غيثان بن علي جريس) من تأليف الأستاذ محمد بن أحمد بن مُعَبِّر ، أدركت أن العبارة المألوفة (زامر الحيّ لا يُطْرب) فقدت مكانتها وسلطانها ، وحلّ مكانها الوفاء والعرفان للعلماء والأدباء في منطقة عسير ، ليس بمجرد ترجمة في بضع صفحات محشورة مع عشرات الأدباء والعلماء ، بل بكتاب مستقل .

وسبق للمؤلف أن أصدر كتاب (هاشم بن سعيد النعمي في ذاكرة عسير) ولا زال عنده الكثير عن هؤلاء الأعلام . وقد رأيت بعض مسودات بعض الكتب في مكتبته العامرة .

والدكتور غيثان بن جريس قامة علمية شامخة يستحق هذا الاهتمام بأعماله وجهوده في تاريخ تهامة والسراة .

وقد استوفى المؤلف في كتابه أغلب الجوانب في حياة الدكتور غيثان العلمية والعملية على امتداد ستمئة صفحة ، وجعله في أربعة فصول وبضعة ملاحق .

ففي الفصل الأول أربعة محاور حملت عنوان (من قرية آل مقبول إلى جامعة الملك خالد) وقرية آل مقبول في بلاد بني عمرو بمنطقة عسير ، حيث ولد فيها الدكتور غيثان سنة ١٣٧٩هـ ، واسترسل المؤلف في الحديث عن المراحل الدراسية من الابتدائية حتى أصبح غيثان أستاذاً في جامعة الملك خالد .

وفي المحور الثاني (في رحاب المؤتمرات والندوات) سجل المؤلف (٥١) مشاركة في مؤتمرات وندوات ولقاءات ، وهو رقم كبير يدل على اقتدار الدكتور غيثان وحرصه على المشاركة رغم أعباء التدريس الجامعي الذي ينوء بحمله .

وليس هذا فحسب فالمحور الثالث يلقي الضوء على (٣٥) محاضرة ألقاها الدكتور غيثان على منابر الكليات بمنطقة عسير ، ونادي أبها الأدبي ، إضافة إلى بعض الأندية الأدبية والمراكز العلمية بالمملكة .

ويحدثنا المؤلف عن (مكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية) التي تتكون من ستة أقسام هي :

١- الوثائق العامة : وهي وثائق جمعها غيثان خلال العقود السابقة ، وتدور في فلك تاريخ وحضارة الجزيرة العربية ، ولا سيما المنطقة الممتدة من مكة المكرمة والطائف شمالاً ، وإلى جازان ونجران جنوباً ، وعددها (٣٠٠٠٠) وثيقة تقريباً .

٢- الوثائق الخاصة : وهي تمثل المراسلات العلمية .

٣- أبحاث البكالوريوس والماجستير غير المنشورة : ويشتمل هذا القسم على نحو ٤٠٠ بحث أشرف الدكتور غيثان عليها .

٤- الصور الفوتوغرافية .

٥- المذكرات والمدونات .

٦- الكتب المطبوعة النادرة .

ويضاف إلى ذلك ثلاثة أقسام هي :

١- الكتب المطبوعة : وفيه نحو (٣٠٠٠) عنوان .

٢- الكتب المخطوطة : وفيه نحو (٧٠) مخطوطة .

٣- المجلات .

وأتحفنا بصور لنماذج مختارة من الوثائق .

أما المحور الخامس فقد حمل عنوان (حوارات صحفية) وضم سبعة حوارات أجريت مع الدكتور غيثان وأغلبها يدور في فلك التاريخ ومكتبته .

ونمضي إلى الفصل الثاني (الإنتاج العلمي للدكتور غيثان بن جريس) وفيه ثلاثة محاور :

١- الكتب : حيث عرض المؤلف (٢٧) كتاباً مطبوعاً ، تتراوح صفحات كل كتاب ما بين (٣٠٠-٦٠٠) صفحة .

٢- الأبحاث : وعددها (٩٠) بحثاً ، وكلها منشورة في المجلات أو ضمن كتب لمؤتمرات وندوات شارك فيها الدكتور غيثان .

٣- أعمال أخرى : اشتمل على مشاريع كتب ، ومراجعات وتقديمات لكتب غيره ، ورئاسة تحرير ملف (بيادر) الذي يصدر نادي أبها الأدبي ، وغير ذلك من الأعمال .

ويحمل هذا الفصل دلالة ساطعة على الجهد الذي بذله الدكتور غيثان خلال السنوات الماضية ، فهذه الكتب والأبحاث تحتاج إلى وقت وجهد ومال ، فجزاه الله خير الجزاء .

وحمل الفصل الثالث عنوان (مؤرخ تهامة والسراة) وهو لقب أطلقه الأستاذ محمد معبّر على الدكتور غيثان ، وقال عن ذلك :

(حين وضعت اللقب (مؤرخ تهامة والسراة) كلقب أدبي للدكتور غيثان بن جريس ، فلا يعني ذلك المجاملة ، أو اعتباط اللقب ، فقد نظرت إلى الإنتاج العلمي في صورة كتب أو أبحاث ، فوجدت فيها كمّاً وكيفاً ما يجيز لي إطلاق هذا اللقب .

وسبق لي تجربة مع الألقاب العلمية والأدبية بدأتها منذ عام ١٤٠٣هـ وتمخضت عن (معجم الألقاب العلمية والأدبية) وسيكون في نحو أربعة مجلدات ، وهي حصيلة قراءة في بعض مصادر ومراجع بلغت عدتها أكثر من ثمانمئة كتاب وبحث .

وفي ضوء هذه التجربة أرى استحقاق الدكتور غيثان لقب (مؤرخ تهامة والسراة) ، فهناك من المؤرخين من حملة الألقاب من لم ينتج سوى عمل واحد أو بضعة أعمال ، ولا يمثل ما أنتجه سوى ١٠% من الإنتاج العلمي للدكتور غيثان) .

ثم أتبع بعد ذلك أسباب إطلاق هذا اللقب ، وجعل ذلك في سبع فقرات تتحدث عن المجالات البحثية للدكتور غيثان :

١- تهامة والسراة .

٢- الاقتصاد والتجارة .

٣- تاريخ التعليم .

٤- أدب الرحلات .

٥- الحجاز .

٦- في آفاق الحضارة الإسلامية .

٧- العالم الإسلامي .

وبعد عملية إحصائية خرج بنتيجة تؤيد إطلاق هذا اللقب ، وهي تقول بأن ٧٠% من إنتاج الدكتور غيثان يختص ببلاد تهامة والسراة .

ونظر المؤلف إلى صنيع الدكتور غيثان في إثارة ذكريات المعاصرين للأحداث السابقة في منطقة عسير وغيرها ، فوجد ما سمَّاه (صناعة المصادر التاريخية) فقال:

(دأب الدكتور غيثان على استكتاب بعض المعاصرين للأحداث السياسية والعلمية والإدارية في بلاد تهامة والسراة ، واستثارة ذكرياتهم ، وأفلحت هذه الطريقة في تدفق المذكرات مكتوبة مما حداه إلى وضع سلسلته (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) وقد بلغت — حتى الآن — ثلاثة أجزاء ، فيها من هذه المذكرات الشيء الكثير والمفيد .

وفتح المجال لنقد بعض كتبه المطبوعة ، وهذه بادرة قلّ نظيرها ، فنجد المنقود (غيثان بن جريس) يسعى في نشر هذا النقد على صفحات كتبه ، وهو ما أكبرته فيه .

والمطلع على هذه المذكرات والرسائل يدرك معنى (صناعة المصادر التاريخية) فكم من هؤلاء الرجال من لم يفكر في كتابه صفحة واحدة فإذا به يسطر عشرات

الصفحات ، وقد اشتملت على معلومات ليست موجودة في كتاب مخطوط أو مطبوع ، وليست في إحدى الوثائق .

ومنهم محمد أحمد أنور عسيري (ت١٤١٧هـ) أحد رواد التعليم بمنطقة عسير ، فقد ملأت رسالته (١٠٤) صفحة مطبوعة في كتاب (القول المكتوب – جـ١) وفيها من المعلومات ما لا يوجد في كتاب أو وثيقة .

ومنهم إبراهيم بن محمد بن فايع (المولود سنة ١٣٥٩هـ بخميس مشيط) حيث قدم للدكتور غيثان الكثير من الرسائل والمدونات عن تاريخ مدينة خميس مشيط .

ومنهم يحيى بن حسن بن مستور ، وله عدة مذكرات عن إمارة عسير ، والشرطة ، والجوازات والأحوال المدنية ، والصحة والمدارس ، وغير ذلك .

ومنهم إبراهيم بن أحمد بن مطاعن ، وله مذكرات منها عن الأحوال الاقتصادية في عسير في القرن الرابع عشر .

ومنهم محمد بن عبد الوهاب أبو ملحة ، له مذكرة عن إدارة المالية في أبها .

ومنهم ظافر بن منصور آل الشيخ ، ومحمد بن عبد الرحمن العسبلي ، لهما مذكرة عن التعليم في عسير .

ومنهم الشيخ محمد بن إبراهيم الحديثي رئيس محاكم عسير ، وله مذكرة عن تاريخ القضاء في عسير .

ومنهم محمد الأحمد رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، له مذكرة عن الهيئة) .

وعقد الفصل الرابع لقراءات سابقة في كتب الدكتور غيثان ، وهي كما يلي:

- قراءة في كتاب : (بحوث في تاريخ عسير الحديث المعاصر)

  بقلم : د. السر سيد أحمد العراقي .

- قراءة في كتاب : (الوجود الإسلامي في أرخبيل الملايو)

  يقلم : د. عبد الحميد الحسامي .

- قراءة في كتاب : (أبها حاضرة عسير)

  بقلم : د. السر سيد أحمد العراقي .

- قراءة في كتاب : (تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسير خلال عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ١٤٠٢-١٤٢٢هـ)

بقلم : د. عبد المنعم علي إبراهيم .

- قراءة في كتاب : (تاريخ التعليم في منطقة عسير ١٣٥٤-١٣٨٦هـ)

  بقلم : د. السر سيد أحمد العراقي .

- قراءة في كتاب : (عسير : دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية)

  بقلم محمد يوسف أيوب .

- قراءة في كتاب : (افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية)

  بقلم : أحمد مرتضى عبده .

وضم الملحق الأول صور (١٢٤) رسالة موجهة إلى الدكتور غيثان ، وتمثل جزءاً صغيراً من الرسائل التي وُجهت إليه ووضع المؤلف مقدمة بعنوان (أدب الرسائل) قال فيها :

(في زحام الحياة المعاصرة وما أحدثته من الصوارف الكثيرة عن حمل القلم وكتابة الرسائل العلمية أو الإخوانية ، ولا سيما رسائل الاتصال العصرية التي خلقت في الناس شيئاً من البرود العاطفي والحس الاجتماعي ، أقول : مع كل هذا أخذت الرسائل العلمية تتجه إلى الانقراض ، أو الاقتصار على جُمل قصيرة وسريعة كسرعة العصر نفسه .

والناظر في تاريخ الأدب العربي وما اشتمل عليه من المراسلات العلمية والأدبية المطولة يدرك ما أعني من الشكوى والتحسر .

قلت هذا حين زودني الدكتور غيثان بستة مجلدات من الرسائل الموجهة إليه من المؤسسات العلمية والأدبية ، والمؤرخين ، والعلماء ، والأدباء ، وطلاب الدراسات العليا ، والأفراد ، وغير ذلك ، ولا زال لديه غيرها .

فإذا كانت هذه الرسائل الموجهة إليه يبلغ عددها الآلاف ، فإن هناك ما يماثلها أو أكثر مما كتبه الدكتور غيثان رداً على هذه الرسائل الموجهة إليه ، أو ابتداءً منه . ولذلك تحتاج هذه الرسائل إلى دراسة مفردة ، فبعضها يقع في عدة صفحات ، وأغلبها تدور في فلك التاريخ وشؤونه . ولكم أن تتخيلوا الوقت والجهد المبذول من الدكتور غيثان لقراءة الرسائل والرد عليها ، علماً أن الرد على بعضها يستلزم البحث والدراسة ، مما يزيد من المشقة .

فإذا نظرنا إلى إنتاجه العلمي (الكتب والأبحاث) لأدركنا ما يلحقه من عناء هذه الرسائل .

ويضاف إلى ذلك أنه ممن لا يهمل أي رسالة مهما كان صاحبها ، فهو أولاً يحتفظ بالرسالة ثم يقوم بالرد عليها ويحتفظ بصورة الرد ثانياً ، وقد اطلعت على نماذج كثيرة من هذه الرسائل الفردية .

وستكون هذه الرسائل المتبادلة في قادم الأيام تراثاً للأجيال القادمة ، فإذا كنا اليوم نبحث عن رسائل العلماء والأدباء ، فإن هناك من سيبحث عن هذه الرسائل الغيثانية ، وسيجدها مجموعة ومصنفة ، وحينها يكون لجهود الدكتور غيثان ذِكْراً وشُكْراً) .

إلى هنا ينتمي بنا المطاف في عرض هذا الكتاب الحافل ، والذي رسم فيه المؤلف حياة الدكتور غيثان العلمية والعملية حتى سنة ١٤٣٣هـ ، وحفظ للتاريخ صفحة مشرقة لمؤرخ نذر نفسه وجهده في كتابة أجزاء من التاريخ الإسلامي ، ولا سيما فيما يتعلق ببلاد تهامة والسراة التي عانت الغياب كثيراً من قلة الكتابة عنها ، فجاء الدكتور غيثان مع كوكبة من الباحثين فأخرجوا لنا الكتب والأبحاث عن هذه الأجزاء من البلاد السعودية .

وقبل أن أضع القلم أحب التنويه بالمؤلف . محمد بن أحمد مُعَبِّر ، فالمطلع على الملحق الثالث المعنون بـ (مؤلفات محمد بن أحمد مُعَبِّر) يرى فيه صورة أخرى لأحد أعلام هذه المنطقة – عسير – فهناك (٢٤) كتاباً مطبوعاً ، و (٦) كتب تحت الطبع ، و (٦٨) كتاباً مُعدّة للطبع .

ومن هذه الكتب ذات الصلة بمنطقة عسير :

١- تقرير المشروع الأثري والسياحي لإحياء مدينة جُرَش .

٢- سراة عَنْز بن وائل .

٣- مدينة جُرَش من المراكز الحضارية القديمة .

٤- هاشم بن سعيد النعمي في ذاكرة عسير .

٥- قصة البحث عن جُرَش .

٦- الأمثال العامية في منطقة عسير .

٧- أبناء منطقة عسير في ساحة الجهاد بفلسطين .

٨- لغة الألوان في منطقة عسير .

٩- أوفير بين الهند وعسير .

١٠- جُرَش أبحاث وفصول .

١١- جُرَش : أوراق عمل ونظرة أمل .

١٢- خميس مشيط (سيرة رجل وتاريخ مدينة) .

١٣- علي بن حسن الأسمري (حصاد قلم) .

١٤- فرّاج بن شافي الملحم (قلمٌ في موكب التاريخ) .

١٥- مسجد المسقي وآثار عسير .